اللغة العربية وتنازع الاختصاص
بين أهلِ العِلم والتعليم والإعلام

للأستاذ الدكتور كمال دسوقي

١- المجـــامع أكاديمـــيات لتعريب لغة العلم:

مـــنذ نشـــرت بأهرام ٢٥ مارس ١٩٩٧م قرارات الدورة الثالثة والستين لمؤتمـــر مجمـــع اللغة العربية مؤكدة على لســـان رئيسه الدكتور شوقي ضيف أن تعريب العلوم الغربية في جامعاتنا مطلب مصـــيري - يؤيده في ذلك رئيس مجمع الأردن د.عبد الكريم خليفة ورئيس مجمع السودان دكتور عبد الله الطيب وغيرهما ... وتقريـــر أمين المجمع الأستاذ إبراهيم الـــترزي أن قضية التعريب شغلت المجمع مـــنذ دورته الأولى عام ١٩٣٤م وحتى الآن... وتطمـــين الدكتور حسين كامل بهاء الدين - الذي ترفع إليه بحكم منصبه قرارات مؤتمر المجمع السنوية الذي يفتتحه - أن وزارة التعلـــيم تعمل على تحديث اللغة العربية وتطويرها ، وذلك بتيسيرها على الدارسين دون إخلال بقواعدها أو خروج على مراميها وأهدافها ...".

توالـــت منذ نفس اليوم وفي نفس الصـــحيفة (أهرام ٢٥ مارس ١٩٩٧م) الحمـــلات عـــلى مجمع اللغة : ممثلا في رجالـــه :" هل المجمع اللغوي وقف على الشـــيوخ الذيـــن لا يُسلِّم الواحد منهم حـــتى يودع" ... وفي أعماله : مطلوب ثورة في مجمع اللغة العربية (الشعب ٢٢/٤/٩٧) - في أعقـــاب مؤتمـــر تعريب العلـــوم الثالث بجامعة عين شمس - الذي يسأل المجمعيين : كيف تختارون الأعضاء والخـــبراء ... رحمكـــم الله ، وفي بـــطء إجـــراءاته : المجمع يحتاج إلى ٤٠٠ سنة لإنجـــاز معجمه الكبير إذا استمر أداؤه بنفس الأداء الحالي ... (كمحاكمة) لمجمع اللغـــة العربـــية في المجلس الأعلى للثقافة (الوفـــد ٣ مايو ١٩٩٧) - حيث كان احتجاج الدكتور كمال بشر على مكان عقـــد الـــندوة (الذي يفترض أن يكون المجمع وليس المجلس) وإشارته إلى تهامس البعض بسعي المجلس لسحب البساط من

* ألقي هذا البحث في الجلسة السابعة يوم السبت ١٥من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٤من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

تحت أقدام المجمع فيما يتعلق بقضايا اللغة العربية، بدليل إعلان د. جابر عصفور في افتتاح الندوة عن تعاون وشيك بين المجلس ووزارة التعليم فيما يتصل بهذه القضية ـ التعاون الذي كان أجدر به أن يتم بين المجمع والوزارة .

فعلى خلاف الدراسات الموضوعية الجادة لقضايا اللغة العربية ، الغَيورة على "تحديث اللغة وتحديث الفكر " و "إنقاذ اللغة من الجمود والعزلة عن الحياة " باستشارة عقول أكبر من عقول اللغويين المُخْلِّص في أمر ما يُدرس للناس " ـ الأمر الذي لا يقضى فيه ببعض التوصيات ... للأستاذ الدكتور مصطفى ناصف ؛ إلى جانب رابع وخامس المقالات العلمية المتقدمة للأستاذ سامي خشبة عن الإيديولوجية اللغوية المصرية التي سبقت تكون الأيديولوجية القومية العامة لدى المثقفين المصريين الحدائيين الأوائل كتعبير عن الهوية الثقافية الحقيقية للمصريين (الأهرام ١٩٩٦/١١/٢٩) ... تجنح مقالات أخرى إلى الاتهام الصارخ لوزارة التعليم بأن سعي الدكتور شوقي ضيف (بشجاعة يندر أن نجدها عند غيره) إلى جعل التعليم في جامعاتنا عربيًا ؛ بأن المشكلة ليست في المجمع ، ولكن في القرار السياسي الملزم الذي (تؤيده) الحكومة ـ حتى لا (تُدفَن) قرارات المجمع في وزارة التعليم (الأخبار ٧/٢٤/ ١٩٩٦).

وفي (محاكمة) مجمع اللغة العربية بالمجلس الأعلى للثقافة عن " حاجة المجمع إلى ٤٠٠ سنة لإنجاز معجمه الكبير إذا استمر أداؤه بنفس المستوى الحالي " الذي اعترف الرئيس الجديد للمجمع (لمراسل الأخبار ٩٦/٧/٢٤) أنه هو الذي أوقف العمل به رغم وفرة الميزانية المخصصة له اعتراضًا منه (بعنف) على خطته الحالية وعدم اتفاق الإنجاز مع الإنفاق ... لكي يعاود العمل في بدء الدورة بعد تشكيل لجان جديدة من خارج المجمع ... يتكرر اتهام المجمع في هذه (المحاكمة) بأن العمل به رهين المحبسين) : الرغبة في الكسب السريع من ناحية (فيما يتعلق بجهود الأفراد والشركات التجارية) والبطء الشديد

والتمســـك بالموروث فيما يتصل بعمل المجمع من ناحية أخرى !! ويفتأت على الـــراحل العظـــيم الدكتور مدكور برَدِّه حين طلب منذ سبع سنوات ترشيح من يشـــترك مـــع صندوق الإنماء العربي في إصدار معجم يعتمد على الحاسب الآلي قائلا : وماذا بعد المعجم الوسيط ؟ ليس في الإمكان أبدع مما كان !!!

ومن قبل - في " مواجهة ساخنة مع العمـــيد الســـابق للدراســـات العربية (الدكـــتور إبراهـــيم عبد الرحمن) نجد المطالبة بإعادة النظر - لا في جوائز الدولة الـــتقديرية فقـــط - بل في عضوية المرأة والشباب بمجمع اللغة - حيث يقال " إن دور مجمـــع اللغة الجليل في خدمة اللغة العربية يتطلب اختيارًا(موفقًا) للأعضاء، لكنـــنا نراه أحيانًا يحجب العضوية عن بعض الشخصيات التي يمكن أن تثريه ، كمـــا أنـــه لا يزال حتى الآن عازفًا عن ترشيح المرأة رغم وجود (وجوه) نسائية تصـــلح لهذا الدور . فيعاود أمين المجمع الأســـتاذ إبراهيم الترزي الرد على هذا الاتهام الأخير - في إطار حديثه عن كيفية الترشيح وإجراءات الانتخاب للعضوية - بأنـــه ليس لدينا أي موقف ضد المرأة ، فمـــنذ الســـتينيات رشحت شخصيات نســـائية شهيرة لم تحصل أي منها على الأصوات الكافية ... (العربي عدد ٤٥٠ مـــايو ١٩٩٦م) . أما السبب الذي لم يذكـــره فهـــو ما جاء بحديث الدكتور إبراهـــيم عـــبد الرحمن ذاته من انقسام أعضـــاء المجمع الذين يرشحون زملاءهم إلى فريقي اللغويين والعلميين وأن ضرورة تحقـــيق الـــتوازن تحتم أحيانًا استكمال الـــنقص في أعضـــاء الـــلجان العلمية المســـتحدثة - وآخرها الحساب العلمي والمعلومات ، الهندسة الوراثية ...إلخ بما لا يحـــتاج معه المجمع إلى مزيد من الأعضاء اللغويين إلا للانضمام لهذه اللجان العلمية المستحدثة .

ويظـــل اشـــتعال الآراء يحـــتد ، واضـــطرام الجدل يشتد ، ما بين تفاؤل بـــأن لغتـــنا العربية قادرة على مواجهة القرن الحادي والعشرين قدرتها في الماضي عـــلى توحـــيد الأمة الإسلامية وتحقيق القومية العربية (د.شوقي ضيف ، مؤتمر

جمعـــية لسان العرب الرابع بجامعة الدول العربـــية ، ١٥/١٦نوفمـــبر ٩٧)، وفي معـــرض كـــون اللغويين يكتبون تاريخ القـــرن بكلمات انتشرت في العالم كله (عمـــاد غازي ، الدستور ، ٣/١٢/٩٧ بعـــنوان " بكـــرة أحلى من النهاردة " الكـــلمات المائة عن جريدة التايمز لدار النشر كوليتز - أحمد غازي) ... والدعوة إلى عقـــد الندوات والمؤتمرات عن اللغة العربـــية ككائن حي مشحون بالتراث وكتعـــبير عن الهوية : كيف ننقذها من أخطـــار تتعرض لها داخليا وخارجيا - وأهمها : تحديات الواقع، العلاقة بالتنمية الشـــاملة ، التشابك مع العامية (الأهرام ١٣/٦/٩٧) . فأخطاء الفساد والأفساد اللغويين ليس عيبًا - حيث خير الخطائين الـــتوابون ، والأخطـــاء في ذاتها منهج للتقويم والإصلاح (الأهرام ٢٣/٥/٩٧)، وبالاتجـــاه " نحو فهم أشمل للغة وكسب للمســـتقبل نحتاج إلى أن نعمل في وقت واحد على تطوير جذري لكل من علوم اللغة العربية والبحث العلمي التطبيقي - لغرض تطويع تكنولوجيا المعلومات للغة العربية ذاتها حتى نستطيع بناء الحاسبات الإلكترونـــية وبرامجها المتنوعة ومكتباتها ومخازن معلوماتها بناء أصيلا باللغة العربية (ســـامي خشبة ، الأهرام ١٨/٧/٩٧)، كما أن بالإمكان التوظيف (الثقافتنموي) للـــبرنامج الـــثقافي (محمد ماهر قابيل (الأهـــرام ٢٤/١٠/٩٧) ونحـــن بسبيل "البحث عن الثقافة العربية (د. محمد علي الكردي ، الأهرام ١٠/١٠/٩٧) ، وعن " أيديولوجية للتعليم المصري " د. محمد ســـكران (نفـــس العدد من الأهرام) بالـــتجدد بدلا من القفز على الثقافات ، وبقـــراءة تجربتي اليابان والاتحاد السوفيتي (أ.د. فـــوزي فهمي أهرام ٩/٥/٩٧)، واســـترجاع الـــتجربة المشرفة في الثقافة العلمـــية الـــتي قـــام بها العلامة المصري الدكـــتور عـــلى مصـــطفى مشرفة في الثلاثينيات أو الأربعينيات مع الفارق في الإمكانـــيات (أ.د. حامد عبد الرحيم عـــيد .الأهرام ١٠/١٠/٩٧) مع مراعاة كـــون ما يسمى الثقافة العلمية هو مجرد معرفة علمية - عند مراجعة دور أسلوبنا التعلـــيمي فـــيها (أهرام ٣/١٠/٩٧)،

ومـــراعاة " أولوية الهدف الاجتماعية في التعلـــيم ونقل التكنولوجيا " (أ.د. أحمد عبد الجواد ٩/٥/٩٧).

٢- والمـــدارس والجامعات مؤسسات للتعليم بالعربية :

يتضـــح إذن من الكتابات الصحفية الســـاخنة منذ بدء الحملة على توصيات مؤتمـــر مجمـــع اللغة العربية التي يتكرر التأكـــيد علـــيها كل عام تحميل المجمع مســـئولية كون " اللغة العربية في أزمة - سواء التي نكتبها والتي نحياها ، وأن لابد مـــن المناداة بإنقاذها من الجمود والعزلة عـــن الحـــياة وتحديثها بتحديث الفكر والشـــعر في عصـــر الثقافة الهشة الذي نعيشـــه (د. مصطفى ناصف ، الأهرام الأدبي ١/٧/٩٧). وينسى المزايدون على المجمـــع المســـددون سهامهم نحوه من خارجه من المسئولين عن التعليم والإعلام والـــثقافة والفكر أن انفتاح المجمع على جماهيرهم بتكرار توصياته السنوية إنما هو إبـــراء لذمـــته من التقصير في المسئولية كأكاديمـــية لتعريـــب لغـــة العلـــوم والتكنولوجيا التي تلزمهم ، فالأزمة التي يشكون منها إنما ترجع لعدم استجابتهم - كل في مجاله - للتوصية المجمعية بالأخذ بمـــا يكفـــل الانتفاع بما انتج المجمع من قـــرارات ومـــا أعد من قوائم ومعاجم مصـــطلحات ، بل وبما أجرى بشأنه من اتصـــالات مـــع التنفيذيين في الوزارات المعنية بتلك القرارات.

إن المجـــامع اللغوية والعلمية - سواء نشـــأت كمجـــامع لغة أو لجان تأليف وتـــرجمة ونشـــر أو مجامع دار العلوم أو الكتـــب ... أهلـــية أو ملكية - في مصر وســـوريا والعـــراق والأردن منذ مطلع القـــرن - تنص مراسيم إنشائها الرسمية عـــلى أن تكون أغراضها أكاديمية تتمثل في: ١- المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعـــلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفـــنون ، وملائمـــة لحاجـــات الحياة المـــتطورة ، ب - النظر في أصول اللغة العربـــية وأســـاليبها ، لاختيار ما يوسع أقيستها وضوابطها ، وييسط تعليم نحوها وصرفها، وييسر طريقة إملائها وكتابتها. ج - دراسة المصطلحات العلمية والأدبية والفنـــية والحضـــارية وكذلـــك دراسة

الأعلام الأجنبية ، والعمل على توحيدها بين المتكلمين بالعربية. د ـ بحث كل ماله شأن في تطوير اللغة العربية والعمل على نشرها ، هـ ـ بحث ما يرد للمجمع من موضوعات تتصل بأغراضه السابقة .

وتنص المادة الثالثة من قانون إعادة تنظيم مجمع اللغة العربية بالقاهرة رقم ١٤ لسنة ١٩٨٢م على أن تكون وسائل المجمع لتحقيق أغراضه :

أ- وضع معجمات لغوية محررة على النمط الحديث في العرض والترتيب ، ومعجمات علمية اصطلاحية خاصة أو عامة ذات تعريفات محددة .

ب- بيان ما يجوز استعماله لغويًا ، وما يجب تجنبه من الألفاظ والتراكيب في التعبير .

ت- الإسهام في إحياء التراث العربي في اللغة والآداب والفنون ، وسائر فروع المعرفة المأثورة .

ث- دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمي .

ج- دراسة قضايا الأدب ونقده ، وتشجيع الإنتاج الأدبي ، بالتنويه به أو بعقد ندوات ومسابقات فيه ذوات جوائز ، أو بأي وسيلة أخرى.

ح- إصدار مجلات أو نشرات أو كتب تحوي قرارات المجمع وأعماله وبحوث أعضائه وغيرهم - مما يتصل بأعمال المجمع .

خ- توصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهي إليه لخدمة اللغة وتيسير تعميمها وانتشارها وتوحيد ما فيها من مصطلحات .

د- الدعوة إلى عقد المؤتمرات والندوات التي تتصل بأغراض المجمع والاشتراك فيما يدعى إليه المجمع من مؤتمرات وندوات تتصل بأغراضه .

ذ- توثيق الصلات بالمجامع والهيئات اللغوية والعلمية في مصر وفي خارجها .

اتخاذ أية وسائل لتحقيق أغراض المجمع .

ولقـــد نهض مجمع اللغة العربية الأم فـــور إنشائه باختصاصات لجان أصول اللغة ،واللهجات ، والألفاظ والأساليب، والأدب ، وإحياء التراث ... فيه - بإعداد وإصـــدار معـــاجم اللغـــة : الوجيز ، والوســـيط، وما تم من الكبير ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ، ومجموعة القرارات المجمعية العلمية في أصول اللغة والألفاظ والأســـاليب ، ونشَـــر من كنوز التراث العربي : عجالة المبتدي وفضالة المنتهى ، التكملة والذيل والصلة (ستة أجزاء) ، ديـــوان الأدب للفارابي (أربعة أجزاء)، كتاب الأفعال (أربعة أجزاء) ، كتاب الجـــيم (أربعـــة أجـــزاء) ، والتنبـــيه والإيضـــاح عمـــا وقـــع في الصحاح (جـــزءان) ، وكتاب الإبدال ، وكتاب الشوارد .. حتى إذا كاد يستوفي رسالته كمجمـــع لغـــة أضاف إلى ختصاصاته مهمة المجامع العلمية وشكل منذ منتصف الخمســـينيات بضـــع عشرة لجنة إعداد مصـــطلحات تعريفات العلوم الأساسية والكونية والإنسانية : التي أنجزت قوائم فمعـــاجم ستين ألف مصطلح (في تقدير الأســـتاذ الدكـــتور شوقي ضيف بالعيد الخمسين للمجمع ١٩٨٤) أضيف إليهما بعـــد ذلـــك حتى سنة ١٩٩٠ ولا يزال يضاف ثمانية آلاف مصطلح طب (الجزء الثاني)، خمسة آلاف كيمياء وصيدلة ، خمســـة آلاف أحياء وزراعة كجزء ثان ظهـــر سنة ١٩٨٨م) ، ٤٥٠٠ مصطلح فـــيزياء حديـــثة (جـــزء ثان ١٩٨٦م) ١٢٥٠ فـــيزياء نوويـــة ... وهكـــذا في معـــاجم علـــوم الرياضيات والهندسة ، والهيدرولوجـــيا ، الجيولوجيا ، النفط ، المعالجـــة الإلكترونية للمعلومات ... ولا تزال تضاف كل عام قوائم جديدة لكل عـــلم ممـــا يعرض على المؤتمر السنوي لإقـــراره . ولمـــا تعـــذر إهداء ما تطلبه الهيئات والأفراد من أعمال المجمع أعدت قوائـــم بـــالموجود منها وما نفد لإعادة طـــبعه، وعهـــد إلى كبريات دور النشر بـــتوزيع هـــذه المطبوعات المجمعية بثمن الـــتكلفة ، وصدرت طبعات خاصة من الوجيز والوسيط لإمداد وزارات التعليم

بالـــبلاد العربية بما يلزمها منها للتوزيع عـــلى طـــلاب المدارس بمراحل التعليم الوسطى وقبل الجامعية .

ولم يكن غائبًا عن ضمير ووجدان أعضـــاء اللجان العلمية أن تعريب العلوم ســـواء عـــند إعـــداد قوائـــم فمعاجم المصـــطلحات الخاصة بكل علم ولدى الـــترجمة والتأليف في موضوعات العلوم الماديـــة الحديثة - خصوصًا في البلاد التي كانت مستعمرة ولا تزال تدرس حتى في مـــراحل التعلـــيم الأولى بالفرنســـية أو الإنجلـــيزية - أن هـــذا التعريب إنما هو لغرض التعليم والتدريس ، فحين يختلف خـــبراء إحدى اللجان حول ما إذا كان تعريـــب أحد المصطلحات ينقل بالترجمة أو بـــالمعنى، الـــتراثي الفصيح أو الدارج العـــامي ... يـــرجح الجمـــيع ما يفهمه الدارسون وما يجري الأخذ به عند أهل الصـــنعة - إدراكًـــا منهم أن تيسير نقل الـــثقافات المعاصـــرة إلى لغتنا هو أهم وســـائل تقدمـــنا العلمي قبل أن يكون ضرورة قومية حتمية لجعل العربية صالحة لاســـتيعاب مســـتجدات العلـــوم والتكنولوجـــيا الحديـــثة . ولـــئن كان المجمعـــيون في القاهرة لم يتعجلوا (وربما لا يزالون مختلفين حول) المبادرة بالترجمة والتألـــيف باســـم المجمع في علوم الطب والصيدلة والرياضيات والهندسة والزراعة والأحـــياء والفيزياء والكيمياء ... مثلما فعلـــت مجـــامع سوريا والأردن (وفي الجزائـــر وتونس والمغرب) التي نشأت كمجـــامع علمـــية - هـــي لجان ترجمة وتألـــيف ونشر - لدواعي وطنية قومية غايـــتها تخلـــيص نظـــم التعليم من لغة المســـتعمر ، وتحريـــر العقل العربي من تغريب فكره وثقافته - فما ذلك إلا لأن التعليم في مصر - حتى أثناء الاستعمار - كان عربيًا في المدارس والجامعات الأهلية والرسمـــية - إلا ما استثنى لاتصاله بالعلم الغـــربي ووجـــود أساتذة أجانب ، وأن أساتذة الجامعة المصريين كانوا قد ترجموا وألفـــوا في هـــذه العلـــوم كتبًا أساسية ومعـــاجم مصطلحات بالقدر الذي يسد حاجة التعليم العالي منها ، فلم يبق على المجمعيين إلا التوصية بتعريب تدريس ما لا يزال الخلاف حوله قائمًا (كالطب) -

مستعينين في ذلك بما ظهر من آلاف مصطلحات الطب وتعريفاتها لغرض تمام تعريب دراسة الطب .

ومع أن المجمع - شأنه شأن كافة الهيئات الأكاديمية العلمية والبحثية - لا يملك إلا الخروج بتوصيات يضعها تحت نظر المسئولين عن التنفيذ واتخاذ القرار ، فهو لم يقف عند حد تعميم مطبوعاته من معاجم تحديد ألفاظ وصياغة عبارات ومفاهيم لغة العلوم والفنون والآداب ، وتيسير الحصول عليها لكل من يريد أو يلزمه الانتفاع بها ، فقد تجاوز رئيس المجمع بصفة أستاذيته لأجيال أساتذة تدريس اللغة العربية وآدابها بأقسام كليات الآداب المعروف بها قبل رئاسته للمجمع - بالاتصالات الشخصية المباشرة بالمسئولين عن التعليم والإعلام والثقافة والفكر لاستحداث إشاعة استعمال اللغة السليمة إن لم يكن الفصحى في شتى مرافق الحياة اليومية ويتلقى منهم الوعود بأنهم حريصون على الأخذ بما يوصي به في هذا السبيل . ولعل رجال التربية الذين هم الأكثر استجابة لتعريب التعليم وإعلاء تدريس اللغة العربية على اللغات الأجنبية وتعديل برامجها ومقرراتها وطرق الامتحان فيها ودرجات هذا الامتحان ... هم الأقل تعريضًا بالمجمع من أهل الثقافة والإعلام الذين يعجزهم التصدي لقضية استخدام اللغة السليمة في المقالات الصحفية وبرامج الإذاعة والتلفزة - بل لغة الشارع والخطاب الديني والسياسي . وتلبية مطالبات استصدار تشريعات وقوانين تُعاقب على عدم سلامة لغة الحديث والكتابة والإعلان عن السلع التجارية وعروبة لافتات المحال والأماكن العامة الأمر الذي لم يعد من الممكن السيطرة عليه في ظل الانفتاح على الثقافات الأجنبية - اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا في ظل ثقافة العولمة والشركات المتعددة الجنسيات ومدارس اللغات ولغات حوسبة وبرمجة المعلومات وشبكات الاتصال التي تعم كافة المجالات .

ففي الندوة التي عقدت تحت شعار "النهوض باللغة العربية " (أكتوبر٩٧) مع التسليم بأن " العربية مفتاح تراثنا

العـــربي والإسلامي " ، وأن "دار العلوم حافظت على اللغة العربية قرنًا وربع قرن ولا تـــزال " ، ومـــع التأكـــيد على أن "الـــتفكير الســـليم لا يســـتقيم إلا بلغة صـــحيحة" ... يقال إن " النهوض باللغة العربـــية لابد أن يسير في ثلاثة مجالات : الواقع السيئ للغاية اليوم في مناهج تعليم اللغة ومراحله المختلفة ، ضعف أداء معلم اللغـــة ومـــا يعانيه من ظروف اقتصادية متواضعة ، سوء تنظيم محتوى فروع اللغة الـــذي لازلنا نصممه بشكل منفصل : نحو/نصوص/قراءة ...كما يجري التساؤل: هل نعود إلى مناهج الأربعينيات لإصلاح اللغـــة العربية ؟ إن ما حدث في امتحان المـــرحلة الثانـــية لطلاب الثانوية العامة الحديـــثة كخطـــأ فني أو طباعي ينبغى محاســـبة المسئولين عن وقوعه ليدل دلالة واضـــحة خطأ نمط الأسئلة التي تطلب إعطـــاء ثلاثـــة مترادفات أو متضادات لكـــلمة معينة وتحديد أيها المطلوب ، ثم عـــلى أن كتب الوزارة في اللغة العربية خاصـــة يخضع تأليفها لنفوذ طائفة من الكبار داخل دواوين الوزارة أو خارجها - ولو أن الوزارة أرادت لعهدت بتأليف كتبها إلى أساتذة من الجامعات في لجان ســـرية بل محايدة أشبه بلجان الترقيات العلمية في نظامها الجديد !! (د. مصطفى رجب ، الأهرام الأدبي ، ٢٧ مايو ٩٧).

وفي آخر تساؤلات الأهرام أيضًا للكاتب إبراهيم حجازي (١٦ يناير ٩٨) : مع هذه المناهج ؛ إلى أين نحن ذاهبون ؟ نجد القـــول بـــأن الاهتمـــام يشير إلى الكتب المدرسية التي تكرس الحفظ والاستظهار وتجعل لكل سؤال إجابة واحدة . فليس في الكـــتاب المدرسي تدريب على حل المشـــكلات أو مناقشة للأحداث الجارية أو توظيف للمعلومات بحيث يقبل عليها المتعـــلم لأنها ذات قيمة وذات مغزى في حـــياته . وما يزيد الطين بلة ، أن بعض مؤلفـــي الكتـــب الخارجية هم أنفسهم مؤلفو الكتب المدرسية . والمعلم المسكين المحشور بين أربعين تلميذاً في الفصل وبين الحصـــة ذات الأربعين دقيقة لا يملك إلا أن ينقل ما في الكتاب إلى أدمغة المتعلمين.

كـــل هـــذا - وكثير غيره كل يوم تقريـــبًا - ولا زال الأمين العام للمجلس

الأعـــلى للثقافة الدكتور جابر عصفور يقـــرر أنـــه " بعد ثلاث ندوات قومية عقدهـــا المجلس خلال هذا الموسم ؛ لم يحـــدث تناغم كامل بين أدوات الثقافة والإعـــلام والأوقـــاف والتعليم في إطار المهمـــة التي يراها المجلس للعمل بلجانه كعقـــل للثقافة المصرية - وهي تأسيس الاســـتنارة وتأصـــيلها وإشاعتها في كل مكان ، مادام يضم التيارات الفكرية التي تقبل بمبدأ الحوار والتعددية ، ويحترم حق الاخـــتلاف ، ولم يســـتبعد نفســـه كالأصـــوليين أو يقـــف عقبة في سبيل الاستنارة والتنوير وبعمل ضدها كبعض مـــناطق الرسالة المرئية في الإعلام ومخربي المشـــروع القومـــي للتعلـــيم حتى على مســـتوى أساتذة الجامعات ، والتطرف والتعصب والجهالة والإظلام في الممارسة الديمقراطية(الأهالي ٢٢ أكتوبر ١٩٩٦م) كمـــا لا تـــزال ثقافـــة الشارع تزحف وتســـيطر في كـــل الأنحاء وعلى كافة الأصعدة : المرور ، اللافتات ، الطعام ، الطرز المعمارية ، النوادي والمقاهي - ممثلة في الضوضـــاء والنصـــب والاحتـــيال

(د.ســـعيد إسماعيل على - أخبار الأدب ١١/٣٠ ، ١٩٩٧/١٢/٧م) وفي مؤتمـــر بـــور ســـعيد الأدبي يضج المشاركون : الإهمـــال يشـــوه المشهد ، وتقافتنا بلا مشـــروع (أخبار الأدب ٤ يناير ٩٨) ، ومن قبل ومن بعد يصرخ كمال حبيب (الشعب ١٧ مايو٩٧) ضد ثقافة الإثارة والـــتحريض وتوصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية السنوية التي لا تنفذ : كفى إذلالا للغـــة العربـــية ، أوقفوا زحف اللغات الأجنبـــية !! إن اكتشـــاف جامعـــة أكســـفورد الـــبريطانية العريقة أن نسبة مـــلحوظة مـــن طلبة الجامعة خصوصًا دارســـي الأدب الإنجلـــيزي لا يعرفون كيفية استهجاء الكلمات ، وعددهم في تضـــاعف مســـتمر ... (الأهرام٢١/١/ ١٩٩٨) ومـــأزق مواجهة نظام التعليم الأمـــريكي تحديـــات القـــرن الحادي والعشـــرين حيـــث تتراجع أهمية مواد التعليم الأساسي - خاصة العلوم الإنسانية لصالح العلوم الحديثة المرتبطة باحتياجات السوق كإدارة الأعمال والمحاسبة وعلوم الاتصال ... (أهرام ٢٨ يناير ٩٨) الأمر

الـــذي يضعف قدرة الطلبة على التفكير الـــناقد والإبـــداع وتحويلهم إلى أدوات مبرمجة ... لم يؤديا برجال التعليم الإنجليز والأمريكان إلى اتهام اللغويين بظلم لغتهم القومية لحساب لغة الحاسبات وشبكات الاتصال - مادام أن هذا مصير القوميات في صراعها مع العولمة تأهبًا للاندماج في نظـــام عـــالمي جديد قبل حلول الألف الثالث للميلاد .

٣- واللغة والدين قوام الهوية الثقافية والإعلام الثقافي :

ذلك أنه لما كانت الثقافة بالتعريف هـــي نماذج وأساليب الحياة الاجتماعية كـــلها - العائـــلي والاقتصادي والديني والأخلاقي والتربوي والجمالي والسياسي واللغوي والعلمي - خصوصًا المعبرة منها عن روح الأمة ونفسية الشعب ، وبما أن القومـــية قوامهـــا وحـــدة الفكر واللغة والجـــنس والأماني المشتركة بنمو وعي سياســـي أو (أيديولوجـــية) ولاء الفرد للوطـــن نتيجة الشعور بالانتماء ووحدة المصير ومسئولية اشتراك الجميع في تحقيق تلك الأهداف ؛ فاللغة هي أكثر عناصر الـــثقافة ثـــباتًا إذا قيست بعوامل الجنس والديـــن والمصـــير المشـــترك التي تزخر الساحة الثقافية بتعدديتها وتنوعها ليضج المُعـــتَرك الثقافي عند مناقشة أي قضية أو مشـــروع يـــراد به النهوض بالأمة إلى غاياتهـــا (بالنظر في حاضرها لاستلهام ماضيها واستشراف مستقبلها) بخلافات تسمية الحركة تجديدًا أو تحديثًا ، صحوة أو بعثا أو تنويرا ، عقلانية أو علمانية ... وبالـــنظر إلى متغيرات العصر ومتطلبات السياســـة القومـــية والمحافظة على الهوية الثقافـــية تعـــم الاتهامـــات بالرجعية أو التقدمية ، الأصولية أو العلمانية ، التراثية أو العصرنة ، وفي الانفتاح على ثقافات الغـــير : الـــندية أم التبعية ... بل تسود مهاترات الوصف بالظلامية الانغلاقية في مواجهـــة الانفتاحية التنويرية ، النفطية العروبية ، الاستثمارية ، الشرق أوسطية (لـــتمرير الصلح مع إسرائيل) ... فلكل شيء في حياتنا ثقافته - على نحو ما أن " ثقافة الفساد أو الجنس في البيت الأبيض ليســـت غريـــبة على المجتمع الأمريكي "(الأهـــرام ٤ فـــبراير ٩٨) ، وأن ثقافة

الـــبطالة تنتشـــر في أوروبا (الأهرام ٨ فـــبراير ٩٨). لكن أهم ثنائيات الثقافة ـ في عصر الإرهاب والعنف المتطرف الذي نعيشـــه ـ هـــي الصـــراع بين الرَّجعية والتـــنوير، الأصـــولية والحداثة وما بعد الحداثة .

ويتجـــلى صراع هذه الثنائية البالغة مـــن التطرف حد عدم إمكان الوسطية والاعـــتدال ـ أول ما يتجلى ـ في ساحة التعليم بالعربية ـ بالنظر إلى أن تعليم اللغة القومـــية يرتبط بتعليم الدين والدراسات الإسلامية فيواجه وزير التعليم الذي يئن مـــن الشـــكوى من تنامي التطرف بين جدران المدارس ولا يكف عن الدفاع ـ حـــتى فـــيما يرفع عليه من قضايا أولياء الأمور ـ ضد حجاب التلميذات ، ونظام التحسين بين الإقرار والإلغاء ، وإنشاء أو إلغـــاء كلـــيات الطب الخاصة وفروع الجامعـــات الأجنبـــية في مصر ... وسط حمـــلات الصـــحافة الصارخة : مَن يرُد للتعلـــيم اعتباره ؟ ٦ وزراء وضعوا ست اســـتراتيجيات للتعلـــيم خلال ١٥ سنة فقـــط، ٥ مليارات جنيه حجم الإنفاق الشـــهري، ٤٠% من مدارس مصر غير صالحة،والدروس الخصوصية تهدم الأسرة الفقـــيرة وتشـــيع السلبية بين الأغنياء، الشهادة لم تعد تعبر عن خبرة حاملها أو مؤهلاتـــه الحقيقـــية ـ أعيدوا للمدرس احـــترامه المـــادي والأدبي ثم تحدثوا عن التعلـــيم (الأحـــرار ٩٦/٩/٣٠) ... فالتجارة بالتعليم كارثة ، ورفع يد الدولة عـــن التعلـــيم خطر على الأمن القومي (الأهرام ٤ نوفمبر ٩٧) ، وعن الامتحان الصعب لمجلس الشعب في قانون الثانوية المعدل : القانون غير مدروس ويحتاج من جديد لإعادة عرضه على المتخصصين ، تطبـــيق الـــتعديلات الجديدة هذا العام مخـــالف للدستور (الأهرام ١٠ ديسمبر ٩٧) ـ هذا بينما في رؤية عميد سابق : نظـــام الدراســـة بكليات التربية فاشل (الأهـــرام ٣٠ يونيو ٩٧) ، وفي تحليل أســـتاذ التربية العريق سعيد إسماعيل على هـــناك " شروخ في جدار كلية التربية ـ أهمهـــا أن التحســـين لم يكن راجعًا إلى تحســـين في نظم وبرامج كليات التربية بأنواعهـــا المخـــتلفة ـ خصوصًـــا بحث

أوضاع كليات التربية النوعية وتطويرها وضمها إلى الجامعات بدعوى توفير معلمين لبعض التخصصات التي لم تكن تُعد لها كليات التربية (الأسبوع ٥ يناير ٩٨) - مع رجاء الكثيرين إلى وزير التعليم العالي التريث في اتخاذ هذه الخطوة...

يواجه وزير التعليم ووزير التعليم العالي - اللذان أصبحا يعملان في وزارة واحدة لتنفيذ السياسة التي يقرها مجلس الوزراء (الأهرام ٤ نوفمبر ٩٧) القضية التي أثارها المسئولون بكلية الآداب جامعة الزقازيق فرع بنها (وغيرهم) بقولهم : إن الحرص على مستقبل الثقافة في مصر يقتضيهم إعادة النظر في لوائح أقسام اللغة العربية التي تقلل من الاهتمام بالثقافة الإسلامية بشكل يتدنى إلى نصف الاهتمام بالثقافة الأجنبية الحديثة حتى لو كانت هذه اللوائح قد نفذت بالفعل ... هذا الاهتمام المكثف الذي هو أكثر من الزحف الذي يتمثل في واقع توزيع الساعات المقررة طوال السنوات الأربع بل الطغيان للثقافة الأجنبية على الدراسات الإسلامية - التي حصرها أصحاب القضية في ثماني ساعات علوم قرآن وتفسير وحديث بالفرقتين الأولى والثانية ، وجاء في رد العميد أنها اثنتان وعشرون ساعة باعتبار الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي والحضارة الإسلامية مواد ثقافة إسلامية بالمفهوم الواسع لا الضيق الذي نشر به الأستاذ سامح كريم محرر صفحة الأهرام الأدبي عن هذه القضية - يقينًا منه بأن اللغة العربية وآدابها نشأت في أحضان بلاغة العلوم الإسلامية وخاصة القرآن والحديث فوضع المسألة تحت نظر المسئولين بأسلوب هادئ إيمانًا منه بأسلوب أدب الحوار الذي يليق بأهل العلم فلَم ينله إلا غضب العميد ورئيس الجامعة مما حسبوه استجارة بالصحافة فاتُّهِمَ بضيق الأفق وعدم الدقة في حقائق القضية التي جوهرها تجريح الزملاء بعضهم لبعض لتحقيق مآرب شخصية ... واكتفى بنشر رد الأستاذة والأستاذ المساعد مع رد العميد معتذرًا عن عدم النشر لأصحاب الردود والبرقيات التي

جاءتـــه مـــن الأســـاتذة وأولياء الأمور والطلاب وكلها تطالب بإعادة النظر في هذه اللائحة .

معـــنى هـــذا أن الداعين للاهتمام بالدراسات الإسلامية في قسم يجمع اللغة العربية والدراسات الإسلامية لا يعتبرون الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي والحضارة الإسلامية .. دراسات إسلامية بالمعنى الواسع تضيف أربع عشرة ساعة إلى ثمـــاني ساعات علوم القرآن والتفسير وعلـــوم الحديث بالفرقتين الأولى والثانية بـــالمفهوم الضيق لهذه الدراسات ؛ كأنما علـــوم اللغـــة وعلوم الدين نقيضان لا يجـــتمعان ، مثيرين بذلك ضرورة التفرقة بـــين ما هو عربي وما هو إسلامي سواء في الفكـــر الفلسفي والحضارة العربية - بالـــنظر إلى وجود علماء وفلاسفة غير مســـلمين (مـــن النصارى واليهود بل المجـــوس والصابئة) ومفكرين من الفرس والأتـــراك والتتار ليسوا عربًا (باعتبار الديـــن والجـــنس عـــلى الترتيب) هذا الخـــلاف الـــذي لا يزال قائمًا وتتوارثه الأجـــيال والثقافات كلما تجددت منذ المستشـــرقين في القـــرن التاســـع عشر لأغـــراض في نفوســـهم فات أوانُها ولا داعـــي لتجديدها كقضية زائفة حتى لو حسمت بخصوصية العروبة كقومية داخل عالمية الإسلام كدين ، مؤكدين على أن إهمـــال التفرقة بين ما هو عربي وما هو إسلامي هو سبب مشاكلنا الثقافية كلما ثـــار الخـــلاف حـــول ما بين الحكمة والشـــريعة من اتصال ، وعلاقة القياس والإجمـــاع في أصـــول الفقه وفي أصول الحكـــم (اللذيـــن تصـــدى للدفاع عن عروبـــتهما الأخوان مصطفى وعلي عبد الرازق) بمنطق أرسطو اليوناني - إلى حد الاتهـــام بـــالقول بديـــن عربي وفلسفة إســـلامية - وتكفـــير التفكير في تأويل الـــتنزيل ، إعمـــال العقـــل في النقل ، وازدواجـــية الوصـــل الظاهر مع الفصل الباطن بين الحقيقتين عن تقية لا تقوى ... وفي فلســـفة ابن رشد العلمانية التنويرية الـــتي لعروبـــتها لا لإسلاميتها مهد بها الغـــرب لنهضته الأوروبية الحديثة ويراد استعمالها اليوم لأغراض سياسية إعلامية: هل هوية الفيلسوف عربية أم إسلامية ؟

وهـــل الفلسفة الإسلامية المشرقية بيانية عرفانـــية كامتداد لعلم الكلام والمغاربية عقلـــية برهانـــية كامـــتداد للمـــنطق والرياضيات ؟

وبيـــنما ينعقد بكلية دار العلوم في الفـــترة مـــن ٥ إلى ٦ إبريل ٩٧ المؤتمر الـــدولي الـــثاني للفلسفة الإسلامية تحت عنوان : الفلسفة الإسلامية وبناء الإنسان المعاصـــر حيـــث تـــتخذ توصيات نبذ التعصـــب والانغلاق والدعوة إلى معرفة (الآخـــر) والتحفظ على منجزات العلم حين يصطدم بالمبادئ الأخلاقية ... ضمن استراتيجية ثقافية تعمل على تنمية الحس الـــنقدي وترسيخ جذور الانتماء لدى المواطنين مع الاهتمام بالتكوين الأخلاقي للفرد باعتباره الدعامة الرئيسية في حركة التنمـــية الشاملة ... " تنظم وزارة الثقافة المصـــرية نـــدوة تحت عنوان ندوة ضد الثقافة الإسلامية باستخدام مصطلحات الظـــلام والظلامية والانغلاق والتعصب والرجعـــية بدلا من الاسلام - ويتساءل محرر جريدة الشعب (٢٠ مايو ١٩٩٧م) كـــيف يـــتأتى لـــنا أن ندعو إلى دور حضـــاري إســـلامي لمصـــر في أفريقيا والســـلطات المصـــرية تحاصـــر الدعوة الإســـلامية والعمل السياسي للإسلاميين والمفاهـــيم الحضارية الإسلامية في عقر دارنا ؟ - هذا مع صورة مكبرة للدكتور محمـــد السـيد حبيب والدكتور الشيخ الســـيد عســـكر في قفص الاتهام : إن الحكومـــة المصـــرية تضرب أفضل قوى الأمة عندما تضرب الحركة الإسلامية ، وبعـــنوان ضخم بعرض الصفحة كلها : المصالحة بين الحكم والإسلاميين ضرورة لنهضة مصر وتطوير دورها الحضاري في العالم الإسلامي .

وفي نـــدوة فكـــرية موسعة عقدت بحزب العمل لمناقشة " حقيقة رسالة فيلم المصـــير " يقـــول جمال البنا " إن أزمة يوســـف شـــاهين مخرج الفيلم تعود إلى اغـــترابه الـــثقافي في تناول موضوع ابن رشد مثلما فعل في فيلم المهاجر وأن علينا لذلك الاحتراس منه :"فالعلمانيون الآن يخـــتزلون ابن رشد في المنظومة الفكرية الماديـــة " - كمـــا قـــال عبد الوهاب المسيري، "والمعاصرون ينهج بعضهم نهج

الاستشراق الالحادي الغربي في التشكيك في إسلامية ابن رشد " - على حد قول الدكتور حسن الشافعي " . وفي نفس الصفحة بجريدة الشعب عن الندوة (٢٤ أكتوبر ٩٧) " المسئولون بهيئة الكتاب يواصلون العبث بالقيم والعقيدة ، جريمة بحق العقيدة الإسلامية في إصدارات مهرجات القراءة للجميع " . أما في ندوة مركز ابن خلدون قبل ذلك بعام (٩/٣٠ /٩٦) فيقول حاتم جمال الدين تحت عنوان : العلمانيون والإسلاميون ألعوبة في يد السلطة ، فهي تشجع هؤلاء على أولئك تارة وأولئك على هؤلاء تارة أخرى - بدليل موقف د. محمد سيد طنطاوي من قضية د. نصر أبو زيد حين قال وهو لا يزال مفتي الديار المصرية " إن كتابات نصر أبو زيد ليس بها ما يسيء ، ولكنه بعد توليه مشيخة الأزهر تبدل رأيه هذا إلى النقيض . ففي حالته وحالة زميله الدكتور حسن حنفي أحد أقطاب اليسار الإسلامي في مصر تظل المصايد منصوبة للإيقاع بهم في هذا الفخ ليخرجوا كاسبين المعركة الإعلامية وينخرطوا في معارك أخرى قضائية - ولو بنشر التقارير العلمية بضغط الحزب الوطني - مع خصومهم من التيار الإسلامي المتطرف .

ولنسترجع معًا عناوين صفحة الدين والحياة بجريدة العربي على مدى ثلاثة أسابيع الخامس والثاني عشر والتاسع عشر من مايو ١٩٩٧م - تؤيدها مقالة جريدة الأهالي بتاريخ ٧ مايو ١٩٩٧م- بعنوان مفاجأة : كاتب بيان تكفير حسن حنفي لم يقرأ كتبه ، من الذي يسمح لـ (جبهة العلماء) بخرق قانون الجمعيات ؟ بقلم عبد اللطيف وهبة الذي قدم لها بقوله : بعد إدانة د. فرج فودة وفيلم المهاجر ، مرة أخرى تخرج علينا مدافع جمعية "جبهة علماء الأزهر " إيذانًا ببدء عصر جديد من تكفير رموز المجتمع المصري الثقافية والمستنيرة . وبعد د. نصر حامد أبو زيد بدأت فصول نفس السيناريو ضد د. حسن حنفي أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة . وذلك من قبل أعضاء تلك الجمعية الذين خشوا المواجهة الفكرية

وآثروا المواجهة الظلامية - طبقًا لما ورد من الأحداث التي صاحبت إقامة ندوة عن الشيخ محمود شلتوت بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ... حيث كانت عناوين جريدة العربي بعد ذلك بأيام : دراسة هامة يكتبها الدكتور عبد المعطي بيومي : ليس دفاعًا عن حسن حنفي لكن دفاعًا عن سماحة الإسلام : البعض يمارس شهوة الاستعلاء على الناس باسم الحرص على الإسلام ، من حسن حظ الدكتور حنفي أن مهاجمه ليس في مقدرته في فهم علم الكلام ، الآن نستطيع القول أن الأزهر غزاه المتطرفون وهذا شيء خطير ، وأحذر من كارثة ستصيب الجميع إذا لم نطهر الأزهر من التطرف . وكما أوردت صفحة الأهالي ضمن مقالها : اتحاد الكتاب يقول : بيان علماء الأزهر يهدد الاستقرار الاجتماعي ، يورد مقال العربي تعقيبًا : علماء الأزهر يطالبون وزيرة الشئون الاجتماعية بالتصدي لانحرافات "جبهة التكفير " - كما يقرر سليمان شفيق بجريدة الأهالي أن مصادر أزهرية مطلعة أكدت أن تكفير د. حسن حنفي من قبل الشيخ يحيى إسماعيل حبلوش ترتبط بالصراع بين جبهة علماء الأزهر من جهة ورئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم وفضيلة شيخ الأزهر د. سيد طنطاوي من جهة أخرى - حيث كانت قد عقدت جلسة مصالحة بين الطرفين بمكتب رئيس الجامعة في يناير الماضي ولكن الخلاف تجدد بعد دعوة رئيس الجامعة الدكتور حسن حنفي في الندوة الشهيرة التي عقدت بمقر جامعة الأزهر وحاولت جبهة كبار العلماء منعها . وعلمت الأهالي أن الدكتور حسن حنفي سوف يؤم طلبة الأزهر للصلاة قريبًا بمقر الجامعة - في إشارة منه لدحض تكفير حبلوش - له ، وتأكيدًا على أن الصراع ليس بين اليسار واليمين ، بل بين الأفندية والمعممين الإسلاميين .

وكانت عناوين صفحة الدين والحياة بجريدة العربي في الخامس من مايو بالبنط العريض والصور الفوتوغرافية : عملية تكفير الدكتور حسن حنفي : عجزوا عن مناقشته فاصدروا فتوى بخروجه من

الإســـلام. جـــبهة علماء الأزهر تواصل هوايـــتها في تكفير المثقفين بعد أن قتلت فرج فودة وشردت نصر أبو زيد . عميد أصـــول الديـــن يقول : أعضاء الجبهة يمارســـون الإرهـــاب علـــنًا ومطلوب التصـــدي لهم قبل خراب البلاد . رئيس جامعة الأزهر : لا صلة لنا بهذه الجبهة . الســـعدي فرهود : كنت رئيسًا للجبهة وأعلـــن براءتي من كل ممارساتها . وفي نهايـــة الصـــفحة بـــيان مركز المساعدة القانونية لحقوق الإنسان بعنوان " تكفير الدكتور حسن حنفي بمثابة تحريض على القتل " . وتستمر عناوين صفحة الدين والحياة بجريدة العربي في العدد التالي ١٩/ ٩٧/٥" وملف جبهة التكفير على مكتب وزيـــرة الشئون الاجتماعية : " حتى لا تـــتكرر المأساة .. الحل هو الحل . شيخ الأزهـــر : لا أعرف شيئًا اسمه " جبهة علماء الأزهر" ، ودور الأزهر لا ينتهي عـــند الثانية ظهرًا . لجنة الفتوى : ليس مـــن اختصـــاص هـــذه الجبهة إصدار الفـــتاوى. وزير الأوقاف : إنهم يجعلون أنفســـهم أوصـــياء على الناس ويسيئون للإسلام . عضو سابق بالجبهة : لم أكن أتصور أن يلعبوا دور محاكم التفتيش .

ولا تكاد تهدأ العاصفة الهوجاء حتى تهب أكثر تخريبًا ودمارًا بإيضاح حيثيات الحكـــم بـــبراءة كتاب " رب الزمان " (للدكتور سيد القمني) أن التعارض بين وجهـــتي نظر التكفير الأزهري وكفالة حرية الرأي والتعبير التي قررها الدستور إلا بـــأن يناضل الطرفان لإتبات الأمر أو نفيه وصولا إلى وجه الحق .. بما لا يمثل ضررا عامًا يستوجب الحجر على حرية المؤلـــف ... فقد " صدر في أوائل نوفمبر الماضـــي كـــتاب تحت شعار : كتاب بكتاب ورأي برأي - في أربعمائة صفحة مـــن القطـــع الكبير ، على صدر غلافه شـــيطان بشع الصورة ، عنوانه الآيات البينات لما في أساطير القمني من الضلال والخرافات ، بقلم الدكتور عمر عبد الله كـــامل ، قـــراءة وتقديم الدكتور يحيى إسماعـــيل أمين عام جبهة علماء الأزهر الشـــريف ، إصـــدار مكتـــبة الـــتراث الإســـلامي - كإعادة محاكمة تحت مظلة الشـــرعية الدينـــية مـــع حيثيات الإدانة

والقرار والحكم ... ليقول المؤلف أنه لن يقـــوم بالرد على ما جاء به من " فتوى القـــتل وفلسفة التزوير " - وهو عنوان المقـــال في جـــريدة الأهـــالى ١٤ يناير ١٩٩٨) بـــل يعمـــد إلى كشف حجم المســـاحة المطاطـــية التي يتمتع بها ضمير التأســـلم السياسي ومنهجه في المحاكمة ومـــدى شرف وسائله في الإدانة واتخاذ القـــرار بمـــا أورده مـــن مجموعة التهم الـــتكفيرية ". وإلى جانب صورة غلاف كـــتاب " النبي إبراهيم التاريخ المجهول" للدكتور سيد القمني نقرأ عناوين صارخة بالنـــبط العريض : مناهج الألباب فيما يحويـــه الـــتكفير من خراب . المكفرون يـــرون الـــتاريخ المصري كفرًا وإنجازاته أصـــنامًا . فقهـــاء الظلام أعداء القومية والمصرية والعلم والتاريخ والعقل - مثلما الخطاب الديني " في الفصل الثاني منه عن الـــتراث بين التأويل والتلوين كتعسف تفســـير ، وكمشروع لليسار الإسلامي في مصر .

٤- تشـــويه مقدسات التراث وتجريح رموزنا الفكرية :

هكذا وصل الإيقاع برموز الإسلام الـــثلاثة : شيخ الأزهر الحالي الذي كان من قبل مفتيًا " يختلف عن شيخ الأزهر إلســـابق د. جاد الحق على جاد الحق في شخصـــيته كمعـــلم بينما الآخر قاضي شـــرعي ملتزم " - وبين مفتي جمهورية مصـــر العربية د. نصر فريد واصل (قبل وبعد ولايته) والدكتور أحمد عمر هاشم رئـــيس جامعـــة الأزهـــر - الممثلـــين للمؤسسات الإسلامية الدينية في مصر) التي انتهت بعد دفاع مرير يوميا وفي كل المناســـبات وبشـــتى وسائل الإعلام إلى إصدار بيان للناس (٩٨/٢/١٥) تعلن فيه اعتزازها بقبول النصح من كل ذي رأي أو قـــلم شريف وتحذر أصحاب الأقلام الصـــفراء مـــن ممارســـة الإفك وافتراء الأكاذيـــب والولوغ في الفحش بالطعن في الأعـــراض واقـــتحام حمى الحرمات الأســـرية والشخصية ... بما يترتب عليها مـــن الفتـــنة وحدوث ما لا يحمد عقباه دفاعًـــا عن الشرف والعرض ... وتضع الأمـــر كلـــه بين يدي القضاء المصري العـــادل الـــذي يملك وحده أن يردع

(الباحثين عن الشهرة) من المنحرفين برسالة الصحافة المصرية عن دورها الكبير في خدمة الحق والحقيقية الذين يستغلون حرية الصحافة لتجريح الشرفاء ويوظفون حرية الكلمة لخدمة أهوائهم المشبوهة .. الإيقاع بين هذه الرموز الممثلة للأزهر (مشيخة وجامعة) ودار الإفتاء ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومجمع البحوث الإسلامية من جهة ... وبين علماء الأزهر الذين برزت منهم " جبهة علماء " اختلفت مع الشيخ من قبل في تغيير فتواه وهو مفتى بما صدر عن مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٦ من أن المعاملات البنكية معاملات ربوية ، وكذلك في قضايا الختان ونقل الأعضاء وتكفير د. حسن حنفي (الذي أشرنا إليه)... وأخيرًا معارضة استقبال السفير الإسرائيلي الذي (رفض الفنانون والفنانات استقباله واستقبله مع الأسف شيخ الأزهر (دكتور يحيى إسماعيل ، الدستور ١٠/١٢ /٩٧) - بدعوى أنه لا حق له أن يتسامح في دين الله ، وأن ينحاز للحكومة بحكم تعيينه في منصبه بدل انتخابه - خلافًا لنيافة الأنبا شنودة المتمسك بموقفه من التطبيع ورفضه بغير مواربة الذهاب إلى فلسطين ، ولفتوى الشيخ محمد عليش مفتي المالكية بالديار المصرية (ردًا على سؤال المجاهد الكبير الأمير عبد القادر الجزائري) علماء مصر حول موقف أحد سلاطين المغرب الذي قدم العون والغذاء للفرنسيين المحتلين للجزائر ... أن ذلك حرام قطعًا بإجماع ضرورة - التي يرجو حازم غراب (الشعب ٢٢/١٠/٩٦) من التذكير بها أن لا يعلق شيخ الأزهر فتواه فيما يسمى " المؤتمر الاقتصادي " المعروف أنه حرص أمريكي على تعايش المصريين والعرب مع دولة الصهاينة اقتصاديًا واجتماعيا وسياحيا ونفسيا على إرادة أهل الحكم والقرار .

وواضح أن ما يقصده بيان ممثلي المؤسسات الإسلامية بالأقلام الصفراء المنحرفين من الكتاب بحرية الصحافة وحرية الكلمة إلى تجريح العلماء الشرفاء لخدمة أغراضهم المشبوهة .

فمـــع أن وســـائل الإعـــلام المرئية والمســـموعة لم تســـلم من النقد اللاذع لـــبرامجها الثقافـــية (فضلا عن الترفيهية والفنـــية) الـــتي تهـــدد هويتنا العربية والإسلامية باختراقها في عقر دارها (على حـــين وقفـــت فرنسا ضد إتمام اتفاقية الجـــات لخوفهـــا على ثقافتها من غزو الثقافة الأمريكية). فالدكتور محي الدين عبد الحليم رئيس قسم الصحافة والإعلام بجامعـــة الأزهر يؤكد أنها كثيرًا ما تفتقر إلى التخطيط العلمي والكوادر المبدعة - مما أدى إلى الاعتماد بشكل مكثف على الـــبرامج الأجنبية التي تحمل من المفاهيم والمعـــاني ما قد يؤثر بالسلب على عقل المـــتلقي ووجدانه . أما " الكابتن غزالي" فهـــو يعلن تشاؤمه من وضع استراتيجية صـــحيحة للإعـــلام المصري . " فطوال الأربعـــة والعشرين عامًا الماضية سُيِّدت برامج شوهت الشخصية المصرية ، والآن والوطـــن في خطـــر حقـــيقي ألا يمكن تصحيح هذا الوضع قبل فوات الأوان ؟ (أخبار الأدب ١٤ ديسمبر ٩٧) : أية ثقافـــة وأي إعلام ؟ مؤتمر أدباء الأقاليم "مكـــلمة " عاديـــة جدًا وفرصة للقاء الأصـــدقاء - برامجـــنا الثقافية مهمشة ، وهويتنا مهددة بالاختراق .

وفي لقـــاء الوزير : التفاصيل تطغى عـــلى قضـــايا الثقافة الحقيقية ، الأدباء يقولـــون : المحور عن الثقافة ، والإعلام الـــذي تجاهلَـــنا - الحـــوار أو انقراض المثقفين، النقاد : ما المسروق بأفضل من الســـارق. - هذا فضلا عن اتهام فاروق جويدة للتليفزيون بامتهان التاريخ قائلا : كـــيف تسمح الدولة من خلال أخطر أجهزتها الإعلامية بأن تقدم صورة مزيفة عـــن أحـــداث تاريخية لا أساس لها من الصحة؟ لقد كانت خطايا التليفزيون في حـــق التاريخ صارخة للغاية على موائد الشـــهر الكـــريم هذا العام ، وهي تحمل دلالات خطـــيرة جدًا في أكثر أجهزتنا الإعلامـــية انتشارًا وتأثيرًا . نحن لا ننكر قـــيمة التاريخ لأنه ذاكرة الأمة ، ولكن هـــناك فرقًا بين أن يكون التاريخ درسا وأن يكون التاريخ ملهى ليليًا أو قصص حـــب ساذجة . مثال ذلك : تخبط ثوار يولـــيو في ســـراديب القصـــور الملكية

يطـــاردون الأمـــيرات (على شاشات التلـــيفزيون) ، برنامج كوميدي يسخر مـــن صـــلاح الدين الأيوبي ويجعل منه مدربًا كرويًا في فريق المقاولون العرب، ومـــن فتح القدس مباراة كروية ساخرة وسخيفة تهزأ من حوار البطل العظيم مع أعدائه (الأهرام ٩٨/٢/١).

لكن الشكوى المريرة في بيان ممثلي المؤسســـات الدينـــية الإسلامية - وفي خطـــاب الأســـتاذ أنيس منصور للسيد الرئيس بعاموده اليومي في جريدة الأهرام بـــنفس الـــيوم - هـــي من حملة الأقلام الصفراء الذين يترلقون إلى ممارسة الإفك ، وافـــتراء الأكاذيـــب ، والولـــوغ في الفحـــش بالطعن في الأعراض واقتحام حمى الحرمات الشخصية والأسرية ... التي رفـــع بشأنها الرجل الفاضل العالم الكبير وزيـــر الأوقـــاف دعوى ضد ما نشرته جريدة النبأ - ففي مناظرة عقدتها جريدة الدستور تحت شعار (منصور يا دستور) بين الدكتور سيد البحراوي أستاذ النقد الأدبي بقســـم اللغـــة العربية كلية آداب جامعة القاهرة والدكتور محمود الربيعي أســـتاذ الأدب العـــربي المقارن بالجامعة الأمريكية قال الأول - في كلمات صريحة ومخـــيفة عـــن الدســـتور الصـــحيفة والصحفيين: الدستور سعت إلى جذب الجمهور فانساقت وراء " الجمهور عايز كـــده" ، والرغبة في تحطيم المحرمات تتم بخفـــة وطـــيش . قـــارئكم لا يهتم إلا بالإفـــيهات والجنس وأخبار الحفلات ، الدســـتور تستخدم لغة الحرفيين وسكان حواشـــي المـــدن ... بيـــنما قال الثاني: الدســـتور نجحت في جذب القارئ لكل صـــفحة فيها . جريدة كانت ضرورية لكســـر الأحاديـــة والركود السائد ولا يمكن التخلي عنها . شبعنا من الموافقة ثم الموافقة - أحيانًا باسم الاستقرار وأحيانًا باســـم الأخـــوة . سألني أحدهمُ : همه بيجيبوا الكلام ده كله في أسبوع منين ؟ وبـــالفعل فإن عناوين صفحات جريدة الدستور ٧ إلى ١٠ بتاريخ ٩٧/١٢/١٠ كانـــت كالـــتالي : تحت عنوان كتاب الســـلطة / الســـلطة والكتاب : هيكل سكن عقل عبد الناصر وأسكن السادات عرش مصر . قال له السادات : الناس لن

يظلـــوا يقرأون لكاتب واحد فرد عليه : ألـــنيس ذلـــك أفضل من أن يكتب كل الكتاب لقارئ واحد هو أنت ؟ إحسان عـــبد القـــدوس : طـــريقة هيكل دائمًا الاســـتيلاء عـــلى الرأس الكبير في أي مكـــان. ناصـــر الدين النشاشيي : عبد الناصر كان ينهي خطابه ويسأل هيكل إيـــه رأيك فيرد هيكل : تمام يا فندم ! دكـــتور فـــؤاد زكـــريا : هيكل يقدم للســـادات وجهًا ساطعًا في ٧١ ووجهًا مظلمًا في ٨٣ ويخدع القراء ويبرئ نفسه دائمًا ! عبد الناصر : هيكل يسكن داخل عقلي ويعرف ما أريد حتى لو لم أبح به.

أما عناوين مانشتات " الدستور" عن أنيس منصور كأحد كتاب السلطة فهي: أنـــيس الجليس لسيادة الرئيس : جيهان السادات قاومت نفوذه لأن دمه ثقيل ، وأنـــيس كان يصطحب فايز حلاوة إلى الرئـــيس لفرفشته . طفل فلسطيني قال للســـادات في القدس يا يهودي فشتمه أنـــيس . السادات قال له : عبد الناصر فضلك بسبب مقال (حمار الشيخ) وأنا شايف إنك تستحق الشنق . وعن موسى صبري تقول الجريدة : على طول الخط رفع شعار : تمام يا فندم . السادات قال عـــنه : الوحيد اللي فاهمني ثم أهانه على شاشة التليفزيون وقال له : معلهش أهي جت فيك . اصطدم مع أستاذيه مصطفى أمـــين والحمامصـــي وعمل رقيبًا على مقالاتهما من أجل السادات . النشاشيي: كـــان يميل إلى إرضاء زوجة الزعيم قبل إرضاء الزعيم نفسه . وأخيرًا عن إبراهيم ســـعدة ككاتب للسلطة تقول الدستور بالبـــنط العـــريض : قطع السادات كل الألســـنة الـــتي طالبـــت برقبته . طلب الســـادات فصـــله مرتين ثم عينه رئيسًا لـــتحرير أخبار اليوم نكاية في مصطفى أمين واحسان عبد القدوس . طلب من الرئيس مبارك حوارًا أو خبرا لـــ (مايو) كـــل أســـبوع ولم يلب الرئيس طلبه . صـــلاح نصـــر طلـــب منه تقارير عن الصهاينة ... وهيكل سأله : لماذا تهاجمني وأنـــا لم أســـيئ إليك ؟ ثم سمير رجب عنوان واحد كبير : من القطار إلى صالة كبار الزوار . ولا تقف اراجيف الدستور عـــند المعاصرين من الكتاب وإنما تخوض

في أسرار الساسة : السابقون كيف يرون بعضـــهم : ففتح الله بركات يقول : لا أئـــتمن خالي سعد زغلول على فرخة ، وعـــبد الـــرحمن فهمي ضم فتح الله إلى الوفـــد لكي يمنعه من الحديث عن سعد زغلـــول بما لا يليق في مجالسه الخاصة ، وعدو الشعب (إسماعيل صدقي) يقول : كانت له أخطاء ، ومن الذي لا يخطئ ؟ عيوب سعد كانت كما يقول الفرنسيون عـــيوبًا تلازم الصفات الكبيرة وقد أوقع بينـــنا الكـــثيرون و لم ينجحوا - إذ توفى ســـعد وهمـــا أصدقاء بينهما كل حب وإعجاب . الجبرتي يتعاطف مع المماليك ويهاجم محمد علي ويسخر من أسرته ... فـــيدفع ابـــنه ثمنًا لذلك، وتلك كانت الوسيلة الوحيدة التي نجح بها محمد علي في تكميم فم الجبرتي إلى الأبد ... وأخيرًا عن خناقات كبار المؤرخين مع بعضهم البعض هل هي علاقات وئام أم صدام؟

ويضـــج عـــدد ١٤ يناير ٩٨ من الدستور أيضًا بعناوين الإثارة الصارخة . ففي صفحة ١٥ " صوت عالي وصدى أعـــلى " : لا يا شيخ الأزهر ... لا تُشبِّه لقـــاءك بحاخام إسرائيل بلقاءات الرسول (ص) لـــيهود المدينة - غلطة وزير الثقافة الـــتي وقع فيها زميله الياباني بعد نصف قرن: هل ستحتفل اليابان بقصف أمريكا لهـــا كما نحتفل بغزو الفرنسيس ؟ بعد الصـــراع بـــين الـــنجمة المعتزلة شمس البارودي والممثلة الناشئة ريم البارودي .. نحن نفتح ملف عائلة البارودي ! مصيبة: رئـــيس جامعـــة القاهـــرة يهاجم أبناء العشوائيات ، فمن أين إذن جاء زعماء مصر ومشاهيرها ... وهي مقالات بعث بهـــا قراء جريدة الدستور الذين تشبعوا بطريقـــتها في الـــتهويل والتشهير . أما صفحة ١٦ من نفس العدد بكاملها تحت عنوان : سطور ساخنة : فتخصص لكبير مفكـــري الإســـلام السياسي الذي حل مؤخـــرًا في جريدة الشعب مكان الشيخ محمد الغزالي - الذي عمره الآن ٦٧ سنة قضـــى مـــنها عشـــر سنوات كاملة في صفوف الماركسية حيث كان قيادة بارزة في الحـــركة الديمقراطـــية للتحرر الوطني (حدتو) ودخل السجن متهما بالشيوعية لست سنوات قبل أن يفرج عنه ويقذف

به نظام عبد الناصر إلى شاطئ الإسلامية إذ يقـــول ردا عـــلى متهمـــيه بالتحول الفكـــري: إن المتحولين نوعان : الأول يـــنكر ماضيه ويمحوه بأستيكه وأحيانا يهيل عليه التراب ، والثاني يعتبرها مرحلة قـــد مضـــت وحلقة فكرية من حلقات تطـــوره العقلي لا ينكرها بل يعود إليها بإصلاح ونقد ذاتي ، وربما اعتمد بعضا مـــنها ضمن مشروعه الفكري في مرحلة مـــا بعـــد التحول. وأنه من النوع الثاني هذا، فلم يحدث له تحول فكري بل تطور (كمـــا حدث للأشعري والشافعي وطه حسين)، و"عندما رأيت ليلة القدر وأنا يســـاري" . فأشـــجع المتحولين فكريا هـــيكل باشا ، وتحول طه حسين كان ســـلبيا ، أما سلامة موسى فكان عميلا حضـــاريا .اليســـار كـــان يترك الناس يـــلحدون بإرادتهم . نعم كنت قيادة في (حدتو) وسجنت بتهمة الشيوعية لست سنوات . محمود أمين العالم مؤهل ليكون شـــيخ طريقة . د. رفعت السعيد يلبس جلبابا أكبر من حجمه . د.حسن حنفي أفرغ الإسلام من محتواه . العشماوي لا يعـــرف الفرق بين الفطرة والفطيرة . ما كتبه د. نصر أبو زيد يتناقض مع إعلانه الإســـلام . الشـــعراوي اجتذب لاعبي الطاولة والدومينو من على المقاهي . لا أتصور أن سيد قطب راض عن جماعات العـــنف . والعنوان الرئيسي لهذه الآراء الفاضـــحة بتلك " السطور الساخنة" : قـــتل الســـادات أخَّرَ المصريين و لم يغير النظام .

لكن الأعجب من هذا كله أن يلحق بـــنفس العدد من الجريدة " مجلة خاصة تصدر في شهر رمضان باسم (الراشدون) "-عـــن الخلـــيفة الثالـــث " عثمان ذو الـــنورين" - إليك عناوين أربع صفحاتها الكـــبيرة : بـــدءا بما كتبه المفكر الكبير حســـين أحمـــد أمين عن ثالث الخلفاء ورابـــع من استجاب لدعوة الإسلام : عثمان : أتعبه عمر وأحبته قريش وأنقذ الأمـــة مـــن اخـــتلاف في القرآن - إلى تســـاؤلات : هل كان عثمان بن عفان حاكمًا فاشلا ؟ولماذا ثار المسلمون ضده؟ في عهـــده أقـــبل المسلمون على طيبات الحـــياة الدنيا ، فارق كبير بين المعارضة

الـــتي قادها أبو ذر الغفاري والتآمر على الدولـــة بقيادة يهودي ادعى الإسلام - صـــدق أو لا تصدق : ابن أبي بكر أحد المتهمين بقتل خليفة المسلمين . وفي أعلى الصفحة الأولى للمجلة : لماذا قاد ابن أبي بكـــر مؤامرة قتل عثمان ؟ الدور الخفي لمعاويـــة في قـــتل عثمان - أبو ذر زعيم المعارضـــة في عهـــد عثمان : هل كان اشـــتراكيا ؟ صـــورة بالحجم الطبيعي لســـيدنا عثمان - المصريون ودورهم في قـــتل عـــثمان. وأسفل الصفحة - بعد تساؤل محمد عبد القدوس السابق - يأتي اتهـــام ســـيد خميس لعثمان بأنه - رغم ســـوابقه البيضاء في الإسلام التي لم تمنع مـــن انفجـــار بدايات الفتنة الكبرى في عهـــده - لم يســـتمع لنصائح عمرو بن العاص بأن يقتدي بسلفه الفاروق عمر ، فالمليونيرات في عهد عثمان : جمال الدين الأفغاني والمسعودي وسيد قطب ومحمد عمارة يرسمون ملامح الغنى الفاحش في ذلك العصر (اكرم ألقصاص)؛ ولبلال فضـــل : أبو ذر زعيم المعارضة في عهد عـــثمان لم يكن المعارض الوحيد ، بل كـــان معه عمار بن ياسر وعبد الله بن مســـعود ، فهل كان اشتراكيا أم ضحية الـــيهود ؟ إن أحمد أمين يزعم أن أبا ذر كـــان منفذاً لأفكار اليهودي ابن سبأ ، لكـــن ابـــن ســـبأ لم يكن إلا وهما من الأوهام. حسن البنا تحدث عن اشتراكية أبي ذَرّ ، لكـــن لجنة الفتوى طعنت فيه إرضـــاء للملك فاروق . الخلافات بين المســـعودي وابـــن الأثير ومحمد عماره وسليم العوا حول ما إذا كان أبو ذر قد اخـــتار مـــنفاه أم نفـــاه عثمان . وعن مســـئولية ابن سيدنا أبي بكر عن حادث اغتـــيال عثمان ؛ يقول نزار يونس : لم يكونـــوا جماعـــة من التأثرين بل كانوا أشخاصًا معروفين ومحددين ، وعن الدور الخفي لمعاوية بن أبي سفيان في قتل سيدنا عثمان : يقول بلال فضل أيضًا أنه "راح ضـــحية الأقارب العقارب " فلم يدرك خطـــورة دورهم ولا خطورة أهدافهم . فقمـــيص عـــثمان كـــان وسيلة قريش للاســـتيلاء على السلطة ، وقتل عثمان كان أكثر فائدة لها من موته على فراشه. عثمان أخطأ عندما قرب مروان الذي

نفـــاه الرسول إلى الطائف . مروان هو الـــذي زور كتاب عثمان المزعوم وهو الـــذي كان المتآمر الأساسي على قتله - وعلى الصفحة الرابعة في (مُخربشات) تراث الأمة لعماد غازي : المصريون لعبوا دورًا أساســيًا في اغتــيال عثمان لهذه الأســباب ، رغـــم أنه كان هناك أيضًا مصـــريون متشـــيعون لعثمان ، الحزب العـــثماني في مصـــر ســـاعد معاوية في الاســـتيلاء عليها (أشرف أنس) ، قصة ذات الصواري - أول طلعة بحرية (حمدي عـــبد الرحيم)، وعما إذا كان ما حدث لعثمان مشاغبة دهماء لم تجد من يكبحها - كما قال العقاد: يقول حلمي النمنم : إن تولـــية عثمان لعبد الله بن أبي السرح كانـــت شـــؤمًا على المسلمين فقد ظلم المصـــريين ففـــتح بـــاب الفتنة وكانت الكارثة عندما واجه مسلمو مصر عثمان : إن كنت كاذبًا استحققت الخلع - أما قـــراءة عـــلاء الدين عرفات لرؤية طه حسين لعثمان فهي أن " الفتنة الكبرى " كانـــت ســـتقع لا محالـــة بعـــثمان أو بغيره .

لا غـــرابة إذن - بعـــد هذا التشويه لمقدسات التراث القومي والديني وتجريح رموز الثقافة العربية الإسلامية - أن يسود الشـــقاق والانقســـام وجهـــتي الـــنظر المتطرفتين لكل ما يعرض للنقاش والحوار مـــن قضـــايا الـــثقافة والإعلام - فمع تخصيص ملحق للأهرام عدد ١٩ نوفمبر ٩٧ عُن " ملامح العالم في القرن الحادي والعشرين " عناوين مقالاته الرئيسية على ثمـــاني صـــفحات " العالم مشدود بين الكونـــية والقومـــية ، دنيا محمولة على كابلات ، العالمية ثقافة من لا ثقافة له ، لكن المحلية تقهر العالمية أحيانًا، في أوربا صـــراع أفكار أم حرب أعراق ، أفريقيا تسقط في هاوية التمزق ، النازية هل تجد موطـــئ قـــدم في ورسيا ، الشيوعية في شرق ووسط أوربا تطارد اقتصاد السوق الحـــرة ، أجراس الكنيسة المحافظة تقرع بموجـــة جديدة من التطرف ، التطرف الصـــهيوني خطر على إسرائيل أيضًا ... وعمومًا ليس هذا هو العالم الذي نتمناه - ونحن نتطلع إلى " ثورة يابانية في مجال العمل " ، وإلى " وظائف أكثر وأفضل "

... وفي غير وعي بما يتهدد الثقافة العربية في بلادهـــا من نكسات " المحاكمة ثمنًا للدفـــاع عـــن اللغة العربية في الجزائر " حيـــث مَـــثُل أمام محكمة الاستئناف في العاصـــمة الجزائرية رئيس جمعية الدفاع عن اللغة العربية الدكتور عثمان سعدي في دعوى كانت قد رفعتها ضده جمعية الأمازيغية المعبرة عن الثقافة البربرية لمقاله الـــذي تعرض فيه لنشاطات الأكاديمية الـــبربرية في باريس ومحاولتها منع تعميم العربـــية ونشـــر اللغة البربرية بالحروف اللاتينـــية وتقسيم الشعب الجزائري على أساس لغوي (العربي ١٩ مايو ٩٧) ... أو لمحاولـــة إعادة " تتريك الإسلام " في الاحتفال بالذكرى الستين لوفاة أتاتورك - الخامســـة والســـبعين لقيام الجمهورية التركية التي نشرت عنه يوم ١٧ نوفمبر جـــريدة "صـــباح " التركـــية الواسعة الانتشـــار بعنوان: آخر وصية لأتاتورك العـــبادة باللغة التركية - حيث في نادي طـــوزلا الروتاري تحدث المثقف التركي جمـــال قوطاي العلماني البالغ من العمر تســـعين عامًـــا مذكـــرًا بخطبة أتاتورك (٤ فـــبراير ١٩٢٣) في جامع زاغانوس باشـــا بمديـــنة باليق أسير التي استمرت ساعة ونصف كأول إشارة منه لرغبته في تتريك العبادة (الذي وضع مشروعه سنة ١٩٣٦م) ومطالـــبًا الرئـــيس ديميريـــل بضـــرورة تحقيق هذه التوصية ... مما رد عليـــه الدكتور محمد حرب رئيس مركز بحـــوث العـــالم التركي بفشل تنفيذ أمر الأذان للصـــلاة بـــ (طائرى أولو دور) بدل الله أكبر ، وعودته إلى الرفع بالعربية عـــام ١٩٥٠م، وأن ترجمة معاني القرآن الكريم لا تجوز الصلاة بها ، كما لا يمكن أن يكـــون هناك قرآن تركي يتلى كما يتـــلى القرآن بلغته العربية ... كما يقول العـــالم الإسلامي الأستاذ الجامعي خير الديـــن كـــرمان في مقاله بجريدة الشفق الجديد (٢٣فبراير ٩٧).

وإذا كان المثقفون الأتراك مدركين أن عناصـــر وضباط الجيش التركي هم حمـــاة الكمالـــية العلمانية التركية تنفيذًا لخطـــة المُنظِّر اليهودي العثماني للحركة القومية العلمانية التركية مائير كوهين في كتابه "الروح التركية " الذي يجردها فيه

من كلا القومية العربية والدين الإسلامي بادغائه أن " مبدأ العلمانية أحد الأعمدة الرئيسية في تركيا الجديدة ، وأنه يطابق كل المطابقة النظام السياسي والاجتماعي للأتـــراك القدماء قبل الإسلام - حين لم يجعلـــوا في أي وقت من الأوقات ولا في أي عهد من العهود أدنى أهمية للدين في حـــياتهم العامة . فالأتراك بالفطرة ليسوا في حاجـــة ماسة إلى الدين ، ولا كانوا مهتمين قط في أي عهد من عهودهم قبل إسلامهم أدنى اهتمام بالعقائد الدينية !!! فمـــا بال المثقفين المصريين لا يدركون خطورة هدمهم للتراث العربي الإسلامي وهم يتناولون كل قضايا الثقافة التي تمس هويتهم الذاتية والقومية ويتحاملون على الذيـــن يدافعون أكثر إيمانًا منهم بتراثهم الحضـــاري الـــتاريخي والإنســـاني من المستشـــرقين والمستعربين إلى حد اعتناق الإسـلام عن اقتناع ويقين ؟ فجارودي الـــذي يحـــاكم بـــتهمة معاداة السامية لانتصـــاره لهم ودعوته لوحدة إسلامية بعـــيدًا عن الاختيار السياسي أو المذاهبي ووقـــف مفاوضـــات الســـلام المهزلة والكفـــاح المسلح وسحب أموال العرب من أمريكا ... يُهرع البعض للدفاع عنه بيـــنما يشكك آخرون في صدق إسلامه ونوايـــاه وعقيدته، وكتاب أثينة السوداء الـــذي يرد اعتبار الحضارة المصرية بقوله إن الأوربـــيين لصـــوص سرقوا حضارة مصـــر القديمة لأنفسهم بالأدلة والبراهين التاريخـــية والأثرية القاطعة يعارضه بحدة مـــراد وهـــبة قائلا إن المصريين القدماء عـــرفوا التطبيقات العملية لا النظريات العلمـــية في الرياضـــيات والعلوم - حتى الفراعـــنة لم يملكـــوا علومًا بل خرافات أســـطورية وفكـــر ديـــني والتنويريون الأوربـــيون هم الذين أقاموا عصر العقل وحققوا نهضة علمية . والدعوة للاحتفال بالذكرى التنويرية للحملة الفرنسية على مصـــر يقـــوم الشجار حول ما إذا كان يُحتَفل بغزو الفرنسيين بدهاء تاريخي أم بترودولاري في حملة ثورة يوليو لتحرير اليمن،وفي إعادة قراءة التراث : هل سرق ابن خلدون نظريات إخوان الصفا؟ وهل كـــل رموزنا الفكرية الأخرى منذ امرئ القيس شخصيات وهمية أم لصوص؟

٥- انعـــدام الـــتكامل الـــثقافي على المستويين الفردي والاجتماعي :

لما كانت اللغة العربية - لغة القرآن وعقيدتـــنا الإســـلامية - هي الثابت بين متغيرات الجنس والدين والأماني المشتركة الـــتي تولـــد روح الأمة ونفسية الشعب بوحـــدة الفكـــر في القومـــية والوطنية والانـــتماء والولاء ومسئولية الجميع في الإيمـــان بالمصـــير المشترك - في مجالات الحـــياة الاجتماعـــية بمؤسســـات العلم والتعليم والإعلام والثقافة التي تعمل على تكـــامل الهوية والثقافة للفرد والمجتمع - ولكـــل مـــن هـــذه المؤسسات أجهزته وأدواتـــه الـــتي تعمـــل لجانها ومجالسها ومجامعها وجمعياتها على توحيد لغة العلم والتعلـــيم والفكـــر والإعـــلام والثقافة الجماهيريـــة فـــيما يوجه كل منها من خطـــاب تربوي وسياسي علمي خلقي ديـــني واقتصادي وأدبي واعلامي ... فإنه يحدث حين يتعذر على المؤسسة - في جو التنافس والتسابق الذي يؤدي إلى التفرق والتشـــتت وصـــراع الآراء لـــتداخل الاختصاصات وتعدد العوامل المؤدية إلى الهـــدف المشترك ... أن تتنصل من عدم نجـــاح مساعيها بإلقاء اللوم على غيرها لتشركه معها في المسئولية - وفي أحسن الظـــروف ، ابـــتغاء التعاون والتواصل والتنسيق والاندماج - وربما الانفتاح عليه وغـــزوه في عقر داره لتحميله المسئولية كاملة .

فـــإذا نظـــرنا لمؤسسات العلم والتعليم والتعـــلم والثقافة والإعلام وجدنا لمجمع اللغـــة العربية ومعاهد وكليات الجامعة والمجلـــس الأعلى للثقافة ، نفس اللجان والأقسام العلمية والأدبية التي تمارس كل مـــنها اختصاصـــاتها الرسمية المحددة لها بقانون إنشائها وحكم لائحتها وأعضائها المنتخبين أو المعينين . وكثيرًا ما يحدث أن يجمـــع عضـــو إحـــدى المؤسسات بين أســـتاذية الجامعة وعضوية المجمع اللغوي ولجـــنة التقافة والإعلام - وربما عضوية المجلـــس الأعلى للشئون الإسلامية ، أو مجمـــع البحوث الإسلامية، أو أكاديمية البحث العلمي ... فيؤثر ذلك على تفرغه لطبـــيعة العمل في كل جهة إن لم تؤد به إلى خلط المهام المكلف بها كل منها أهي

مجـــرد تعريب العلوم وتيسيرها أم عملية تعلـــيمها للأجيال أم التثقيف والتخاطب أم أســـلمتها وتراثيـــتها وأجنبيتها .. مما يحـــبط عمـــل زملائه في الجهة الأخرى الذين يتطلعون إلى الفوز مثله بالجمع بين عضوية مجمع الخالدين والترشيح لعضوية الـــبحوث الإســـلامية أو جائزة الدولة الـــتقديرية بـــالمجلس الأعـــلى للثقافة أو أكاديمـــية البحث العلمي ، أو الصحافة والإعـــلام ... هذا في الوقت الذي يوجد بـــه في كـــل تلـــك المؤسسات خبراء وعـــاملون لعشـــرات السنين لم تؤد بهم الترشـــيحات المتعاقبة في مواقعهم للفوز بتلك العضويات المرموقة التي يتطلع إليها ويفـــوز بهـــا الساعون لنيلها من خارج المؤسســـة ؛ مما يساعدهم عليه ويؤيدهم فـــيه المنفتحون على الغير لتبادل المؤازرة والتعضيد في الجبهتين .

ولقـــد كـــان مجمع اللغة العربية في عهـــده الجديـــد هو الأكثر انفتاحًا على الجامعـــات والجمعيات العلمية والثقافية الأخـــرى وهو يتعدى مهمته في تنسيق وتوحـــيد تعريـــب مصطلحات العلوم والفنون والآداب مع اتحاد المجامع اللغوية والعلمـــية الـــتي يرأسها فيتوسع في ضم الجديد منها ويقبل للعمل تحت مظلته وفي رحابه مؤتمرات جمعيات خاصة كلسان العرب وجمعية تعريب العلوم ... بما يخشى معه أن لا تؤدي التعددية والخصوصية إلى التوحـــيد والاتفاق بدل التفرد والافتراق فـــيما لم تلـــتزم به مجامع شقيقة عضو بالمجمع الأم في المشرق والمغرب ولا تزال ـ كمـــا في كتابة الأرقام بحروف عربية أصـــيلة ، والحاسوب بدل الحاسبات ... إلخ ، ويضـــطر المجمع إلى تبني الخلافات المحلـــية والاجـــتهادات الفردية والجهود الأهلية في استعمال اللغة الفصحى كلغة للتأليف والتعليم والإعلام بما يسبغ عليها مـــن مشروعية ـ مثلما أن إنشاءه للجنة ثقافـــية تعقد ندوات مناقشة قضايا اللغة والأدب تنقل إلى ساحته الشماء خلافات العلماء والأدباء (الذين لا يرون أنفسهم أدنى مـــن أن يكونوا أعضاء بالمجمع) في طـــروحات مواقفهـــم المتميزة من هذه القضـــايا وهـــم يعرضونها على جمهور الحاضـــرين من أعضائه وعلى المعجبين

بـــآرائهم وتجديداتهم التي طالما استمعوا إلـــيها في نـــدوات ثقافية أخرى خارج المجمع وهم إنما حضروا ليوجهوا الأسئلة والتعقيبات المؤيدة لها أو المعارضة في مقر المجمـــع اللغوي العتيد - للتصديق عليها وتوثيقها .

ويقينًا فإن انفتاح المجمع على الإعلام الصحفي خصوصا الذي تعدى مجرد نشر توصيات مؤتمره السنوي (التي لا ضَيرَ في تكـــرارها في حـــدود اختصاصه) إلى استقبال الصحفيين والإدلاء لهم بأحاديث تبشـــر بعدم اقتصار المجمع على النهوض بمســـئولياته عـــن تعريب العلوم وتيسير الانـــتفاع بهـــا بـــل الاتصال الشخصي بالمســـئولين عن التعليم والإعلام للأخذ بهـــذه التوصيات - مما عبر عنه الصحفي بعبارات اتهام لهؤلاء (بدفن) القرارات في وزارة التعلـــيم ، وسحب المجلس الأعلى للـــثقافة البساط من المجمع للتعاون بدلا مـــنه مـــع وزارة التعليم ، وعدم صدور القـــرار السياسي بالتعريب الذي تؤيده الحكومـــة ... ورغم وصف الرئيس بـــ (الشجاعة) التي يندر أن نجدها عند غيره، وبـــ (العنف) الذي أوقف به سير العمل بـــالمعجم الكبير رغم توافر الميزانية ليبدأ العمل فيه بلجان جديدة ... فقد انعكس هذا الاتهام للآخرين اتهامات للمجمع في حجـــب العضوية عن الشخصيات التي يمكن أن تثريه، وعزوفه عن ترشيح المرأة، وأن العمـــل به لا زال (رهن المحبسين) التمســـك بالموروث والرغبة في الكسب السريع ، وتطويع تكنولوجيا المعلومات للغة العربية لإمكان بناء برامج الحاسبات المتـــنوعة ومكتباتها ومخازن معلوماتها ... وعموما (محاكمته) والدعوة إلى إحداث (ثـــورة) على رجاله وإجراءات اختيار أعضائه وبطء سير العمل به ... وتحميله المســـئولية أولا وأخـــيرا عن أزمة الهوية الثقافـــية التي نعيشها بسبب جمود اللغة وعزلـــتها عن الحياة ... الأمر الذي تنزل بـــالمجمع من علياء سمائه في برجه العاجي إلى معـــترك الحـــياة الثقافـــية التي تموج بالاتهامـــات بـــل المهاتـــرات لأغراض شخصية-وكما تدين تدان،والبادي أظلم.

وليس خافيًا أن جهود المجلس الأعلى للـــثقافة التي لا تكل ولا تمل من الحوار

بالندوات والمؤتمرات (التي تعقد يوميا بل العديـــد منها في اليوم الواحد بأكثر من مكـــان) إنمـــا تهدف إلى عبور الهوة بين الأصالة والمعاصرة ، التراثية والكمبيوترية ... للوصول من التقاء الثقافتين إلى ثقافة واحدة قبل أن تسد هذه الفجوةَ إجباريا المحلـــيةُ الخصوصـــيةُ داخـــل المعلوماتية الكوكبـــية . لكنها وهي في سباقها مع الزمن لتحقيق تلك الغاية تصطدم بعراقيل التطرف والإرهاب الفكري الذي يسود مؤسسات المجتمع المدني الأسرية والتربوية والدينـــية والسياســـية والاقتصـــادية والســـياحية- ممـــا تواجهه الدولة (إلى جانب الإجراءات الأمنية) بحشد جهود هـــذه المؤسسات المدنية للتصدي لهؤلاء المـــتطرفين الذيـــن يضـــرون بأرواحهم وأرزاقهـــم . ولا تقتصـــر مواجهـــات أصـــحاب الرأي والرأي الآخر على من هو أهل لقرع الحجة بالحجة في جو من حـــرية التعـــبير عـــن وجهة النظر ، بل يتطوع من ليس أهلا أو غير ذي صفة أو مصلحة في رفع دعاوى إن لم يكن بالردة للمطالـــبة بتطلـــيق الزوجة . . فإلي الحد الـــذي دفـــع بالدولة إلى تقنين دعاوى الحسبة . ولعل أول محاكمة منذ سقراط الإغريقي لأستاذ فلسفة كانت يوم ١٥/ ٥/٩٥ حين مثل الدكتور عاطف العراقي أمـــام محكمة (جنايات) المنصورة بتهمة تأويل بعض الأحاديث النبوية التي رفعها علـــيه قبل ثلاثة أشهر من المحاكمة أحد المحامين بالسنبلاوين استنادًا إلى ما نشرته مجلـــة اللواء الإسلامي على مدى أربعة أســـابيع وصدور الحكم بالبراءة في نفس الجلسة . وكما كان النشر الصحفي هو المحـــرض على رفع دعاوى الاتهام ، فإنه هو أيضًا ناشر الكسب الإعلامي بالبراءة ... عـــلى أن يـــترك للفرقاء (الأهل) في التخصـــص التقاضـــي حول خصوماتهم الفكرية .

فـــلا سبيل إذن أمام المجلس الأعلى للـــثقافة ، للتعجيل بتهيئة بلادنا لدخول عـــالم الكوكبية المعلوماتية الجديدة ، غير مواصـــلة عقد ندوات حوارات المثقفين فيما بينهم ، ابتغاء تحقيق التكامل الثقافي عـــلى مستوى المجتمع العامّ - على غرار مـــا حدث في ندوتين عقدهما في رحابه

خـــلال شهر فبراير الجاري ، في ذكرى رحـــيل اثنين من كبار الشخصيات التي تحقـــق لهـــا التكامل الثقافي كنموذج - الأولى للعـــالم المـــنطقي الطبيب الأديب الموســـيقي الإنســـان دكتور أبو شادي الـــروبي - وقـــد طـــبق عليه نموذجه في الـــتكامل الـــثقافي مهندس البرمجة الرائع الدكـــتور نبيل علي ، والثانية لفيلسوف الوضـــعية المنطقـــية العقلاني الوجداني التـــنويري المجـــدد للعقل العربي وأستاذ فلاســـفة ومفكري الجيل الدكتور زكي نجيـــب محمود - وقد ختمت أنا المناقشة حوله بتطبيق نموذج التكامل الثقافي هذا على شخصيته المبدعة الخلاقة .

وخلاصـــة نمـــوذج تحقيق التكامل الثقافي على مستوى الفرد (الميكرو) أن يدخل في مفهوم التكامل عمومًا مفاهيم أساسية هي : التوازن والاندماج وتعدد الأبعـــاد والتناسق والتمحور والتواصل والفاعلية ، وأن يعمل التكامل الثقافي في عصـــر المعلومات على سد الفجوة بين الثقافـــتين اللغويـــة والكمبيوترية ، بين تكنولوجـــيا المعلومـــات والإنسانيات ، وتوظـــيف المعـــرفة لا الطنطنة بها بحيث، تكـــون المعـــرفة ممارسة عملية وفعلا لا قـــولا، وأن تتخذ الثقافة كمحرك أول للتغير المجتمعي بحيث يجيئ التكامل الثقافي عـــلى مســـتوى المجتمع العام (الماكرو) حصـــيلة تكـــامل الخطابات : العلمي ، الـــتربوي الأدبي، السياسي ، الإعلامي ، الاقتصادي، الديني ... وتصارعها ، ربط التعـــلم بتظرية التعليم الكمبيوترية(كما في الهندســـة الوراثـــية وتعلـــيم الخلايا السرطانية أن لا تنتشر) وبنظرية التعلم الـــذاتي لبياجـــيه وتوظـــيف الذكـــاء الاصطناعي في التنبؤ ورسم سيناريوهات حـــل المشـــاكل الآنية والمستقبلية . وفي الـــتعامل مـــع ظواهـــر فرط المعلومات وضخامة المعلوم وتعدد الثقافات لا غنى عـــن مداومة التثاقف لتنمية القدرة على التثقف وتنوع القدرات الذهنية للمثقف: بتوسيع ذاكرته لا لمعلومات بل لمفاهيم. وحيـــث تكنولوجـــيا المعلومات تعطينا العديـــد من الحلول يتدرب المثقف على عدم التطبيق الصارم للقواعد ، واستخدام الأســـاليب غـــير القاطعـــة ، والتواصل

والتعاون مع الآخر (الذكي) . وللصمود إزاء التعقد في الحياة اليومية الحديثة بسبب تداخل العلوم في كل موقف، لابد من تكامل الخريطة الذهنية للفرد بين الأدب والفن مع الزمان والمكان ونظام الحكم والقيم واللغة - مهما يكن أن اللغة أكثر قبولا من غيرها للحوسبة - حيث لا علم في المستقبل المنظور إلا إذا كان قابلا للتسجيل بالحاسبات ، ومهما يكن أن تكامل تكنولوجيا المعلومات والإنسانيات تسحق بُعدَي المكان والزمان .

كمال دسوقي

عضو المجمع